

الشهيد الذي اشتاقت إليه الجنة عمار بن ياسر

للدكتور أحمد الشرياصي

انه الصحابي الجليل ابو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر العنسي، الذي كان من السابقين إلى الإسلام هو وأخوه عبد الله، وأبوه ياسر، وأمه سمية بنت خياط التي كانت أمه عند أبي حذيفة، ثم زوجها لياسر بن عامر والد عمار، وهي أول شهيدة في الإسلام، قتلها أبو جهل عليه لعنة الله قتلة شنيعة، حيث طعنها بحربة في جسمها فماتت، فباء أبو جهل بالخيبة والعار، وفازت هي بالشهادة وعقبى الدار.

وقد اسلم عمار مع صهيب الرومي في وقت واحد، في دار الارقم بن أبي الارقم، وكان الذين أسلموا لا يزيدون عن الثلاثين إلا قليلا. وكان عمار أيضاً من القلائل الأوائل الذين اعلنوا إسلامهم: كأبي بكر وبلال وخباب وصهيب، وتعرضوا لألوان من العذاب والامتهان بسبب هذا الاعلان. وكان عمار وابوه وأمه وأخوه يعذبون في الله تعالى على إسلامهم، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر وهم يعذبون، وهو لا يملك لهم شيئا، وبه من الهم لأجلهم ما الله به عليم، فيقول: «صبر آل ياسر، فإن موعدكم الجنة». وفي يوم اشتد العذاب على عمار، ومر به الرسول فقال له عمار: يا رسول الله، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صبراً ابا اليقظان، صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.

وجاء في رواية أخرى: «صبراً يا آل ياسر، اللهم اغضر لآل ياسر، وقد فعلت»^(١). وبلغ المشركون من الضجور انهم اخذوا يكوون جسم عمار بالنار، فدعا النبي قائلاً: يا نار كونى برداً وسلاماً على عمار، كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم. واشتد العذاب يوماً بعمار ثم اشتد ثم اشتد، حتى فقد وعيه، واصبح لا يدري ما يفعل ولا ما يقول، فأمره المشركون أن يردد كلمات ضد دينه، فرددتها بلسانه دون وعي، ثم ادرك بعد افاقته ما قال، فحزن حزناً شديداً، ولكن الرسول هون عليه الأمر بأن قال له: ان عادوا فقل لهم مثل قولك هذا. وفي ذلك نزل قول الله جل جلاله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. وكذلك نزل في عمار وامثاله من المعذبين قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥ ص ٧٩٥.

وهاجر عمار مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وجاهد معه في غزوات بدر واحد والخندق وسائر الغزوات، واشترك عقب الهجرة في بناء مسجد الرسول، وكان الناس يحملون فيه لبنة لبنة (أي حجرا حجرا) وعمار يحمل لبنتين لبنتين، وكان يجعل لبنة منهما عن نفسه، والأخرى عن النبي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «للناس اجر، ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة، ويدعونك إلى النار».

ثم قال له: «يا ابا اليقظان، لا تشقق على نفسك».

فقال عمار: «يا رسول الله، اني احب أن اعمل في هذا المسجد».

فقال له النبي: «انت من أهل الجنة، وتقتلك الفئة الباغية».

وأخذت شواهد الإيمان واليقين والإخلاص تتجلى من عمار في أعماله وأقواله وتصرفاته وعواطفه، حتى كأنه قد صار نموذجا من الإيمان يتحرك على الأرض ويسعى بين الناس، ولذلك كان جديرا بتزكية الصادق الصدوق رسول الله حيث قال فيه: «لقد ملئ عمار ايمانا إلى مشاشه». والمشاش هو رؤوس العظام اللينة في داخل الجسم. وقيل المشاش رأس العظم. وفي رواية: «الى أخمص قدميه».

وقال الرسول أيضاً: «ان الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان».

وفي بعض الروايات: «اشتاقت الجنة إلى أربعة: علي وعمار وسلمان وخباب».

وكان يحرص على مرضاة ربه. حسب اعتقاده. مهما كان الثمن، فكان يقول: «اللهم انك تعلم اني لو أعلم ان رضاك في ان اذف بنفسي في هذا البحر لفعلت. اللهم انك تعلم اني لو أعلم ان رضاك ان اضع ظبة سيفي في بطني، ثم انحنى عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم اني اعلم مما علمتني اني لا اعمل عملاً صالحاً هذا اليوم هو ارضى من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو اعلم اليوم عملاً هو ارضى لك منه لفعلته»^(١).

وكانت له شعاراته الرائعة في الجهاد، مثل قوله: «أيها الناس، الرواح إلى الجنة». وقوله:

«صبراً، والله ان الجنة تحت ظلال السيوف».

وهكذا كان عمار عملاقاً في أقواله وأعماله، مثالا للمسلم الغيور في تحركاته وتصرفاته، ولذلك حق للسيدة عائشة ان تقول فيه: «ما من احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشاء أن اقول فيه إلا قلت، إلا عمار بن ياسر، فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انه مليء ايمانا إلى أخمص قدميه»^(٢).

ولقد تلا عبد الله بن عباس قوله تعالى: «أَوْ مِنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» سورة الأنعام الآية ١٢٢.

ثم قال: ان من جعل الله له نوراً هو عمار بن ياسر، والماشي في الظلمات هو ابو جهل^(٣).

(١) المرجع السابق، ج ٢ ص ٢٥٧. (٢) المرجع السابق، ج ٣ ص ٤٣٩. (٣) المرجع السابق.

وقال ابن عساكر: عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الله الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحق حيث زال، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً..



ووفي عمار للإسلام في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين، وحينما أقبل الخليفة الرابع الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وبسط يده القوية الفدائية في محاربة الطغيان ومقاومة الضلال، كان عمار بن ياسر من أسرع الناس إلى الوقوف بجانبه، وأظهر في القتال مهارة ملحوظة، ولذلك كان الإمام علي يجعله أميراً على الرجالة (المشاة) تارة، وعلى الخيالة (الفرسان) تارة أخرى.

وكان عمار يتحرق شوقاً إلى مواجهة الضالين بالموقف الصارم، فإما أن يستقيموا ويعتدلوا، وأما أن يعتزلوا ويوزلوا، وهو يرى في جهادهم تقرباً إلى الله عزوجل، وسبب تشريف وتكريم له ولا مثاله، ولذلك قام للإمام علي قبيل معركة «صفين»:

«يا أمير المؤمنين، ان استطعت إلا تقيم يوماً واحداً فافعل. اشخص بنا قبل استعار نار الفجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى رشدهم وحظهم، فإن قبلوا سعدوا، وإن ابوا إلا حربنا، فوالله ان سفك دمائهم، والجد في جهادهم، لقربة عند الله، وهو كرامة منه». .
ومضى عمار بقيادة الإمام علي إلى المعركة، متدثراً بالإيمان، طالباً إحدى الحسنين: أما نصرة للحق، وأما شهادة تأخذ بصاحبها إلى طريق الجنة، وهو يردد كلمات الثبات واليقين، والإصرار على الإقدام، وعدم التردد في الدفاع عن المبدأ، وكان مما يرتجز به يؤمئذ قوله:

كلا ورب البيت لا أبرح أرجي	حتى أموت أو أرى ما أشتي
لا افتأ الدهر أحامي عن علي	صهر الرسول ذي الامانات الوفي
ينصرنا رب السموات العلي	ويقطع الهام بحد المشرفي
يمنحنا النصر على من يبتغي	ظلماً علينا جاهداً ما يأتي

وكان الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه، لعلمهم انه مع الفئة العادلة، بشهادة حديث الصحيحين القائل: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية».

و شاء رب العزة ان يدوق عمار طعم الشهادة في هذه المعركة، في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، والعجيب كل العجب ان عمارا كان قد بلغ الثالثة والتسعين من سنوات عمره، ولكن هذا الشيخ الذي شاب شببته في الإسلام. وأشرف على المائة من الأعوام، ولم يتقاعس عن موطن الجهاد والاجتهاد، وحينما أحس بالموت من طعناته قال: أبتوني بشرية لئن فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لئن. وأتوه باللبن فشربه، ثم أوصى أن يدفن بثيابه، فدفنه الإمام علي بثيابه، وقال وهو بين الحياة والموت «الجنة تحت الأسنة، اليوم القى المحبة، محمداً وحزبه» ثم مضى ليلقى الأحباب هناك مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.